المحاضرة الثانية: موضوع الابستمولوجيا ومهمتها

تمهيد:

لكل علم من العلوم موضوع يبحث فيه وتساؤلات يحاول الاجابة عنها من خلال البحث والاستقصاء والابستمولوجيا أحد أهم المباحث المعرفية المعاصرة انطلاقا من هنا نطرح هذا السؤال ما هو موضوعها؟ ما هي المشكلة الابستمولوجية؟ هل هي مشكلة علمية مجالها العلم ومصدرها تاريخه؟ أم هي مشكلة مجالها الفلسفة وتسلسلها عبر تاريخ الفلسفة؟ هذا السؤال يحيلنا للبحث في موضوع الابستمولوجيا أو ما تبحث فيه

1- موضوع الابستمولوجيا و مهمتها:

يرى غاستون باشلارGaston Bachelard (1884- 1962) أن مهمة الابستمولوجيا هي بمتابعة أثر المعارف العلمية في بنية الفكر، وهذا التحديد يتضمن مفهوما للفكر، كما يرى باشلار أن مهمة الابستمولوجي يمكن أن تكون هي التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية، بهدف اكتشاف جملة العوائق التي تقف في وجه عملية المعرفة التي يسميها باشلار العوائق الابستمولوجية، حيث عرف باشلار باعتباره الممثل الرئيسي لتطور الابستمولوجيا في فرنسا خلال القرن العشرين وهو من نبه بقوة الى أهمية نتائج الاكتشافات النظرية والعملية في الفيزياء والكيمياء المعاصرتين منذ بدايات هذا القرن، خصوصا نتائجها الفلسفية وكذا المعرفية داعيا الفلاسفة الى محاولة فهم أن العلم ينتج الفلسفة، على أنه يضيف الى المهام السابقة مهمة أخرى هي التي يدعوها بابراز القيم الابستمولوجية، أي بيان دلالة الاكتشافات العلمية من الناحية الثقافية العلمية ومن الناحية النفسية.

في حين يرى جون بياجيهJean Piaget - (1896- 1980) وهو عالم نفس وفيلسوف سويسري- أن مهمة الابستمولوجيا هي البحث في تطور المفاهيم العلمية وهذا بربط الابستمولوجيا بعلم النفس التطوري والابستمولوجيا العامة التي تود اغناءها وهو يؤكد أنه لا يمكن أن يؤدي وظيفة الابستمولوجي من له اختصاص ضيق بحيث يستطيع أن يعمم انطلاقا من المشكلات التي يواجهها في ميدانه الخاص، فالعلماء المتخصصين في ميادين معرفية مختلفة هم الذين يقدمون للابستمولوجيا في الوقت الحاضر كثيرا من المعطيات التي يستطيع فيلسوف تقليدي أن يمدها بها.

2- الفلسفة الوضعية وعلاقتها بنشأة الابستمولوجيا:

يعد كتاب أوغست كونت (1798- 1857) (عالم اجتماع وفيلسوف فرنسي) **"محاضرات في الفلسفة الوضعية"** والذي بدأ في الظهور منذ عام 1826 أحد أهم المؤلفات الأساسية

المبشرة بمبحث الابستمولوجيا كما نعرفه اليوم، وحتى نفهم ذلك نبدأ بتحديد علاقة الفلسفة الوضعية بالعلم عند أوجست كونت، فالعلم عنده هو تلك المعرفة التي بلغت التي بلغت آخر مراحل تطورها وهي المرحلة الوضعية بعد أن يكون العقل الانساني قد تجاوز المرحلة اللاهوتية والمرحلة الميتافيزيقية، واذا كان العقل الانساني قد تعود على اعطاء تفسيرات لاهوتية أو ميتافيزيقية مفارقة لشتى ظواهر العلم في المرحلتين الأولى والثانية من مراحل تطوره، فإنه يكف عن هذا في المرحلة الوضعية، تلك المرحلة التي يبدأ فيها بتفسير الظواهر العلمية تفسيرا سببيا من أجل التوصل الى اكتشاف القوانين الواقعية الثابتة التي تنظم هذه الظواهر وتتحكم فيها، والمعارف العلمية التي أنتجتها المرحلة الوضعية هي عبارة عن العلوم الجزئية الخاصة ويصبح كل علم من هذه العلوم مستقلا بنفسه إذا استطاع أن يحقق تراكما معرفيا واذا تمكن بنجاح أيضا من تطبيق المنهج الوضعي في دراسة الظواهر المختلفة.

ومنه جاءت محاولة أوغست كونت في تقسيم العلوم وتصنيفها وجعل لكل علم مباحثه الخاصة به، هذا التقسيم كانت له نتائجه الايجابية والسلبية، أما عن النتائج الايجابية فتتمثل في أن هذا التقسيم المنظم المتخصص للمعارف قد سمح بنمو أسرع للمعرفة في شتى ميادينها، فالعلوم الجزئية التي أنتجتها المرحلة الوضعية أصبحت ذات موضوع معروف ومعالم محددة بعد أن كانت تعاني من الغموض والعمومية، وبهذا تطورت بدرجة كبيرة، ولكن ما كاد أن ينتهي القرن التاسع عشر حتى أصبحت هذه العلوم أو فروع العلوم قد توقفت عن التطور، ولاحظ العلماء ذلك وتم التعبير عن هذا بأزمة الأسس في العلوم فقد اكتشف العلماء أن الانغلاق داخل التخصص الضيق وقطع الصلة بحركة التطور في العلوم الأخرى يؤدي إلى توقف التطور داخل نسق المعرفة نفسه ومن هنا وجد العلماء المخرج من هذه الأزمة هو إقامة صلات بين فروع المعرفة الإنسانية فجذور العلم الجزئي غالبا ما تمتد و تتشابك مع جذور علم آخر ومثال على ذلك رد الرياضيات إلى المنطق، والحقيقة أن أوغست كونت قد توقع هذه النتائج السلبية للدعوة الوضعية في ميدان العلم لهذا فهو يرى أن الفلسفة الوضعية يجب أن تنهض بمهمة الحفاظ على النتائج الايجابية للعصر الوضعي وهو يقول: " وحيث أنه لا يمكن الرجوع إلى الحالة السابقة على قيام التقسيم ... فإن الحل لا يكون إلا بالمضي في التقسيم وبخلق اختصاص جديد يضاف إلى الاختصاصات الأخرى في نسق المعرفة الوضعية، غير أن موضوع هذا الاختصاص الجديد ليس موضوعا معرفيا جديد بل هو العلاقات بين الميادين المعرفية الأخرى والفلاسفة الذين سيقومون بهذا الاختصاص الجديد فئة جديدة من العلماء ذات تكوين خاص" .